موقف المؤرخين السريان من تحرير بيت المقدس

د. فرست مرعي اسماعيل
مدرس
جامعة دهوك - كليةالتربية

الملخص

لقد ظهرت دراسات وبحوث عديدة حول بيان موقف المؤرخين المسلمين من الغزو الصليبي لديار المسلمين في المشرق الإسلامي ، ومن موقف المؤرخين الصليبيين من عملية استرداد الأماكن المقدسة المسيحية من أيدي المسلمين .

ولكن قلما تطرقت دراسة إلى إستجلاء موقف المؤرخين النصارى الشرقيين ، أو بالأحرى موقف المؤرخين السريان من مجريات الصراع الذي جري بين المسلمين والصليبيين في المشرق الإسلامي لمدة تقارب القرنين

لذا فهذا البحث سيتطرق الى بيان موقف المؤرخين السريان الغربيين الذين ينتمون جميعا الى الكنيسة السريانية (اليعقوبية – المنوفستية) من عملية تحرير أو استرداد بيت المقدس (القدس) على يد صلاح الدين الأيوبي ، حيث سبقتها بقليل معركة حطين عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م التي كانت قاصمة لظهر الصليبيين ، وعلى إثرها تمكن صلاح الدين من استرداد الكثير من المدن والبلدات الواقعة في بلاد الشام وعلى طول ساحلها بما فيها بيت المقدس .

ولذلك لابد من التطرق الى بيان موقف نصارى المشرق وموقفهم من الغزو الصليبي لديار المسلمين، وما ترتب على هذا الموقف من نتائج .

المبحث الأول
المؤرخين السريان

لكي يتبين موقف المؤرخين السريان من الغزو الصليبي للمشرق الإسلامي عامة ومن تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي ، لابد من معرفة نبذة يسيرة من سيرة هؤلاء المؤرخين ومؤلفاتهم وموارهم (مصادرهم) التي اعتمدوا عليها في كتابة تواريخهم ، فضلا عن المناهج التي اتبعوها بهذا الخصوص .

وتجدر الإشارة إلى أن ثلاثة فقط من المؤرخين السريان الغربيين (اليعاقبة) هم الذين أرخوا لبيان وقائع الغزو الصليبي لديار المسلمين . أثنان منهم وهم: كل من ميخائيل السرياني الكبير المتوفي سنة ١١٩٩م / ٥٩٦هـ ، والرهاوي المجهول المتوفي سنة ١٣٢٤م / ٧٢٥هـ، لذا فأن كتاباتهم على جانب كبير من الأهمية ، أما الثالث فهو: (ابن العبري المتوفي سنة ١٢٨٦م / ٦٨٥هـ) فقد في اعتمد كتاباته على المؤرخين السابقين، كما اعتمد على غيرهم في سرد وقائع الغزو الصليبي فضلا عن تحرير بيت المقدس . وهؤلاء المؤرخين السريان هم حسب التسلسل التأريخي .

أولا: **ميخائيل السرياني الكبير**

ولد ميخائيل الذي عرف بأسم (السرياني) أو (الكبير) في مدينة ملطية[١] سنة ١١٢٦م / ٥٢٠هـ من عائلة يسميها ابن العبري (آل قنداسي) . وكان أبوه كاهنا يدعى إيليا . وقد دخل ميخائيل منذ صباه دير برصوم الشهير الواقع جوار ملطية[٢] . وأخذ يرتشف من العلوم اللاهوتية واللغوية و التاريخية ، حتى نال منها القسط الوافر . ورسم كاهنا ثم أقام رئيسا لديره ، وأنتخب فيما بعد بطريركاً فرسم في ١٨تشرين الأول سنة ١١٦٦م / ٥٦٢هـ بعد ممانعة[٣]، ولكنه دبر الكرسي ثلاثة وثلاثين سنة حتى وفاته في ٧ تشرين الثاني سنة ١١٩٩م / ٥٩٦هـ[٤]. اما لقب (الكبير) فقد جاء على لسان ابن العبري

لتمييزه عن ايشوع سفثانا وهو ابن اخ ميخائيل الذي اتخذ لنفسه ايضا اسم ميخائيل[٥] وكان ميخائيل قد عاصر الكثير من الأحداث المهمة في المنطقة فقد تمكن صلاح الدين الأيوبي قائد معركة حطين من استرداد بيت المقدس عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م[٦]، وكان من نتائجها قيام الحملة الصليبية الثالثة ومحاولتها من جديد استرداد الأماكن المقدسة النصرانية. ويبدو أن المؤرخ ميخائيل كان على علاقة ودية مع مملكة بيت المقدس الصليبية اللاتينية ، ولكنه بخلاف موقف الأرمن والموارنة ، رفض الخضوع لسلطات كنيسة روما والبابوية وظل متمسكا بمذهبه اليعقوبي . كما انه لم يحبذ الاتحاد مع الكنيسة البيزنطية وذلك لأسباب سياسية اكثر منها عقائدية لاهوتية.[٧]

كما انه قام بعدة زيارات الى إمارة انطاكية ومملكة بيت المقدس (اورشليم) الصليبية في سنة ١١٦٨م ، وما بين سنتي ١١٧٧ و ١١٧٩م[٨] ، وهنالك تلقى دعوة للانضمام الى بطريرك انطاكية اللاتيني والحضور معه في المجمع اللاتيراني الثالث الذي عقده البابا الاسكندر الثالث ضد الالبيجيين.[٩]

وأشهر أعماله حوليته التاريخية التي تتناول الاحداث المدنية والكنسية منذ الخليقة وحتى سنة (١١٩٤- ١١٩٥م / ٥٩١- ٥٩٥هـ)، وقد أطلع عليها العالم الأوربي بواسطة ترجمة أرمنية نشر أجزاء منها في المجلة الأسيوية التي كانت تصدر في باريس ، ثم نشر التاريخ كاملا في مدينة البندقية بايطاليا . أما النص السرياني فقد عثر عليه البطريرك افرام رحماني (١٨٤٩-١٩٢٩) في كنيسة السريان اليعاقبة في اورفه (الرها) سنة ١٨٨٧م في مخطوطة تعود إلى سنة ١٥٩٨[١٠]. وفي سنة ١٨٩٤ قررت الجمعية الأسيوية في باريس ان تساعد في نشر هذا الأثر الهام ،وقام المستشرق الفرنسي جان باتيست شابو بهذا العمل ونشر هذا النص في سنة ١٨٩٩، فجاء النص في ٧٧٧ صفحة من القطع الكبير في مجلد واحد ، أما الترجمة الفرنسية فجاءت بثلاثة مجلدات كبيرة نشرت في باريس وقام بها شابو أيضا[١١]. وقد أعيد طبعها في أربعة مجلدات عام ١٩٦٣ وكان مطران دمشق يوحنا شقير الصددي قد نقل تاريخ ميخائيل الى العربية الملحونة عام ١٧٥٩[١٢].

وقد أتبع ميخائيل منهج يوسيبيوس القيصري[١٣]، وذلك بتقسيم مادته الى ثلاثة حقول : الحقل الأول من اليمين لتسلسل الكهنوت (الجزء الكنسي) ، والحقل الأوسط لتعاقب الحكومات والممالك (الجزء العلماني) أما الحقل الأخير فيخصصه للأحداث المختلفة (المتفرقات).[١٤]

كما ان ميخائيل نقل احداث عصر الامبراطور البيزنطي جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) حتى الامبراطور موريقيوس (٥٨٢-٦٠٢م) من كتاب تاريخ الكنيسة، ذكر ذلك في تاريخه.[١٥]

ثانيا: الرهاوي المجهول

مؤرخ سرياني مجهول تضاربت الآراء حول أصله وهويته . قال البطريرك رحماني أن المؤلف من مدينة الرها[١٦]، وتبنى هذا الرأي البطريرك أفرام الأول برصوم ، فتارة يسميه بـ (أكليريكي رهاوي)[١٧] وآخر يقول : ((أنه كان راهبا في ديرمار برصوم ، ولد في الرها حوالي سنة ١١٦٠(للميلاد) وتوفي بعيد سنة ١٢٣٤ (للميلاد)...))[١٨]. بينما يصر المستشرق الفرنسي شابو على ان المؤلف ينقل الأحداث الخاصة بمدينة الرها من (باسيليوس الرهاوي) وانه بالأحرى راهب من ديرمار برصوم الكبير، وقد استفاد من الوثائق المحفوظة في هذا الدير لتدوين تاريخه[١٩]. وقد عاد جان فييه فأكد الأصل الرهاوي لابن العبري[٢٠]. ويحاول البير ابونا ان يوفق بين هذه المعلومات المفيدة بقوله ((فقد يكون مؤرخنا من الرها أصلا، ثم أنهى حياته راهبا في دير ماربرصوم، لأن باسيليوس الرهاوي مطران الرها توفي سنة ١١٦٩م. أما الأحداث الخاصة بالرها فتتواصل بصورة مفصلة ودقيقة لدى المؤلف، مما يشير إلى كونه شاهد عيان يروي ما رآه في هذه الفترة العصيبة من تاريخ مدينة الرها))[٢١].

لقد عثر البطريرك رحماني على النص السرياني لهذا التاريخ في اسطنبول سنة ١٨٩٩م في مخطوطة وحيدة، ترقى الى بداية القرن الرابع عشر الميلادي كانت بحوزة الأسقف بولس الرهاوي، وقد زال منها اسم المؤلف لكون المخطوطة مخرومة، وهذا التاريخ يقسم الى قسمين : في الاول يتحدث عن التاريخ المدني منذ بدء الخليقة الى سنة ١٢٣٤م / ٦٣٢هـ، وفي الثاني يتكلم عن التاريخ الكنسي في عهد الأمبراطور قسطنطين الكبير المتوفي سنة ٣٣٧م حتى سنة ١٢٠٧م /٦٠٤هـ . وهذا القسم الثاني رغم كونه مخروما فأنه يضفي معلومات قيمة على تاريخ ميخائيل السرياني، حيث فصل في أخبار الصليبيين وأخبار وطنه الرها تفصيلا لم يرد عند غيره من المؤرخين. ويظهر من هذا التاريخ ان مؤلفه شهد أستيلاء صلاح الدين على بيت المقدس سنة ١١٨٧م ، ورافق غريغوريوس يعقوب مفريان الشرق إلى تكريت وسنجار وإلى المناطق الشرقية من الكنيسة السريانية الغربية (المنوفستية)[٢٢]. وقد نشر البطريرك رحماني الجزء الأول من هذا التاريخ منذ سنة ١٩٠٠م، وظهر القسم الأول منه في دير الشرفة في لبنان سنة ١٩٠٤م[٢٣]، ونقل المستشرق الفرنسي فرنسيس (نو) فقرات منه الى الفرنسية في مجلة (الشرق المسيحي) سنة ١٩٠٧-١٩٠٨ . ثم نشر رحماني القسم الثاني سنة ١٩١١، وبلغ الى العدد ٥٢٥ من التاريخ المدني ولم يتسنى له نشر ما تبقى من هذا التاريخ[٢٤].

أما المستشرق الفرنسي الاخر شابو فقد أخذ على عاتقه نشر هذا النص التاريخي كاملا في جزئين بالتعاون مع الراهب أفرام برصوم البطريرك افرام الاول برصوم(١٨٧٨-١٩٥٧م) سنة ١٩١٦ – ١٩٢٠في بلجيكا (مجموعة الكتبة المسيحيين الشرقيين)[٢٥]، وتمكن شابو من نشر الترجمة اللاتينية للجزء الاول سنة ١٩٣٧ في لوفان – بلجيكا. ولكن المنية عاجلته قبل ان يتوصل الى نشر الجزء الثاني، فتم تكليف الكاهن العراقي البير ابونا بترجمة الجزء الثاني الى الفرنسية[٢٦]، وضع لها مقدمة وهوامش الدومنيكي الفرنسي جان موريس فييه، ظهرت سنة ١٩٧٤ في لوفان-بلجيكا[٢٧].ثم قام أبونا بترجمة الجزء الثاني الى العربية ، ظهرت سنة ١٩٨٦ في بغداد[٢٨]. ويبدو ان للرهاوي المجهول تواريخ اخرى مصرحا بذلك في اخر خبر عن ترجمة اثناسيوس دنحا مطران الرها المتوفي سنة ١١٩١م . ((وقد دونا ما أصابه من المحن والذين أثاروها أحيانا وصاروا علة للفتن في كتب أخرى بوجه التفصيل))[٢٩].

أما بخصوص المصادر التي أعتمد عليها الرهاوي المجهول في تاريخه ، فلا شك ان التاريخ الكبير لميخائيل السرياني في مقدمتها ، وهو ما دعا المستشرق البريطاني المختص بالسريانيات سباستيان بروك الى القول : ((وهو مستقل عن تاريخ ميخائيل في الكثير الغالب))[٣٠]. كما ان تاريخ ديونيسيوس التلمحري المفقود هو احد المصادر الأساسية لهذه الحقبة الزمنية[٣١]، كما لا يمكن بهذا الصدد اغفال تاريخ الرها لباسيل بن شومنة الرهاوي المتوفي ١١٦٩م[٣٢]. وقد تكون هناك أيضا مصادر عربية إسلامية أستعان بها المؤرخ، إذ يكتفي أحيانا بذكر السنين الهجرية . ولكننا عاجزين عن تشخيص هذه المصادر، إذ أن المؤرخ لا ينوه بها أي تنويه[٣٣].

ثالثا- ابن العبري

هو غريغوريوس ابا الفرج بن هارون بن توما الملطي المعروف بابن العبري. ولد في ملطية (المصيصة) سنة ١٢٢٦م / ٦٢٦هـ، ونال في العماد اسم يوحنا[٣٤] . اما لقب ابن العبري فقد اتاه من ابيه الطبيب هارون . وقد ذهب العديد من الباحثين والمستشرقين الى ان اباه من اصل يهودي كما يشير اسمه الى ذلك، وانه اعتنق النصرانية. الا ان البطريرك برصوم والسريان الارثودكس عامة يستنكرون هذا التعليل، ويقولون بأن هذا اللقب جاء الى العائلة لولادة احد ابنائها او لولادة هارون نفسه في اثناء عبوره نهر الفرات، مستندين في ذلك الى بيت من الشعر جاء في ديوان المترجم نفسه اذا يقول: ((اذا كان سيدنا المسيح سمى نفسه سامريا فلا غضاضة عليك اذا دعوك بابن العبري[٣٥] ،لان مصدر هذه التسمية نهر الفرات لا دينا معيبا ولا لغة عبرية)). بينما حاول باحث اخر الدفاع عن نظرية ابن العبري بقوله:((ولقد كان هذا اللقب باعثا للغموض بعد ان ترجمه الاوربيون ب (BarHebraeuse).

وكان البعض اعتقد يوم كان ابن العبري على قيد الحياة ان المترجم له ينتسب الى عائلة عبرانية اعتنقت الدين المسيحي)[٣٦] ، ويضيف قائلا بعد ان يورد بيت الشعر المذكور اعلاه نقلاً عن برصوم ((اما ما يخص برصوم اخا ابن العبري ومكمل عمله الادبي ، فمن الصعب ان نعطي تبريرا لآرائه العنيفة المعادية لليهود، لو كان ابوه يهوديا))[٣٧].

وكان ابن العبري منذ نعومة اظفاره قد درس الطب على يد ابيه وتعلم منه شيئا كثيرا[٣٨]، وحينما هجم المغول في صيف١٢٣٣م/٦٣١هـ على ملطية واستولوا عليها. هاجر معظم سكانها الى سوريا غير ان ان والد ابن العبري حضر عند القائد المغولي اذ عالجه من مرض الم به فبرأه، فسمح له القائد بالذهاب مع اسرته الى انطاكية التى كانت تحت قبضة الفرنجة الصليبيين. وفي انطاكية انخرط ابن العبري في سلك الرهبانية، ثم توجه الى طرابلس ودرس الطب والفلسفة على يد يعقوب النسطوري[٣٩]. وهذا ما دعا المستشرق البولندي بيترس[٤٠] الى القول ان ابن العبري كان نسطورياً ثم انقلب يعقوبيا منوفيستياً.

وفي سنة ١٢٣٦م / ٦٤٤هـ رسم البطريرك اغناطيوس الثاني ابن العبري اسقفا على بلدة جوباس القريبة من ملطية وكان عمره عشرين عاما فقط. واذ ذاك سمي غريغوريوس[٤١]، ثم نقل العام التالي الى ابرشية لاقبين. بعدها دخل ابن العبري طرفاً في شقاق وقع داخل الكنيسة اليعقوبية[٤٢]، فالذي حدث ان اغناطيوس داود الثاني توفي سنة ١٢٥٢م /٦٥٠هـ وتنافس لشغل كرسي البطريركية شخصان متخاصمان: هما هارون عنجور[٤٣]، ويوحنا ابن المعدني[٤٤]، وقد وقف ابن العبري في صف المرشح الاول فنقله البطريرك ديونيسيوس الى أبرشية حلب ، غير ان هذه المدينة كانت موالية لأبن المعدني، لذا قاموا بطرد ابن العبري من حلب، وعندها قرر ابن العبري الاعتزال في دير صوم قرب حليفه عنجور[٤٥].

وبعد فترة عاد ابن العبري الى حلب سنة ١٢٥٨م/٦٥٦هـ وبقي فيها حتى عصر البطريرك اغناطيوس الثالث، الذي عينه مفريانا لكافة الكنائس اليعقوبية في المشرق الذي كانت آنذاك تحت السيطرة المغولية. وظل ابن العبري في منصبه حتى وفاته سنة ١٢٨٦م/٦٨٥هـ في مدينة مراغة عاصمة المغول الإيلخانيين. اما أخوه الذي خلفه في منصبه ، فقد نقل رفاته الى ديرمارمتى[٤٦] الواقع شرق الموصل، ويشاهد ضريحه هناك الى الآن وهو موضوع إكرام النصارى[٤٧].

اما عن انتاج العبري فيقول السمعاني ((ان ابن العبري منذ العشرين من عمره وحتى نهاية حياته لم يكفي عن القراءة والكتابة[٤٨] ، وقد وضع ٣٦ كتاباً في شتى صنوف المعرفة[٤٩]، وكتاباته شاهد على علمه الشامل الذي تطرق الى كل فروع المعارف البشرية من اللاهوت والفلسفة والنحو والفلك والطب والتاريخ[٥٠].

وتتمثل الإضافة الكبرى لابن العبري في مؤلفاته في التاريخ موضوع بحثنا، فقد وضع تاريخاً عالميا في حوليات ثلاث: التاريخ السرياني، وتاريخ الكنيسة باللغة السريانية، ثم التاريخ المختصر التي وضعه قرب نهاية حياته بلغة عربية رصينة تحت عنوان ((مختصر تاريخ الدول)) [٥١]، وان كان المستشرق البريطاني بروك قال بأن العنوان الأصح لهذا الكتاب (تاريخ مخصر الدول)[٥٢]. ولا شك في ان ابن العبري استفاد من كتابه التاريخ السرياني (تاريخ الزمان) من الوثائق العربية والسريانية والفارسية التي وقف عليها في مكتبة مراغة التي كانت مدينة كبيرة وإحدى عواصم المغول ، إلا ان المصدر الرئيسي لمعلوماتهو (تاريخ ميخائيل السرياني) الذي كتب قبل هذا العهد بثمانين سنة، فضلاً عن تاريخ يعقوب الرهاوي[٥٣]. وقد غطى ابن العبري تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة، وبذلك لخص لنا تاريخ ميخائيل السرياني بصورة كاملة.

يقسم ابن العبري كتابه (تاريخ الزمان) الى إحدى عشرة حقبة يخصصها للآباء من(آدم الى يشوع) والقضاة من (يشوع الى شاوؤل) والملوك العبرانيين، ثم يتطرق الى الملوك الكلدانيين (بختنصر الى بلشاصر)، والملوك الماديين (داريوس المادي)، وملوك الفرس (كورش الى داريوس بن أرشم

)،وملوك اليونان الوثنيين(من الاسكندر الى كليوباترة)، والأباطرة الرومان (من أنطونيوس الى يوستينس الثاني) والملوك البيزنطينين المسيحيين (من يوستينس الثاني الى هرقل)، وملوك العرب، وأخيرا الى ملوك الهونيين[٥٤].

وقد أختصر ابن العبري كتابة (تاريخ الزمان) ونقله الى العربية بتصرف قبيل وفاته، وأنجزه مدة شهر وذلك نزولا عند رغبة بعض علماء مراغة المسلمين. وقد حافظ على تقسيم الحقب الى أحدى عشرة كما جاء في المصنف السرياني الأصلي (تاريخ الزمان)[٥٥] ، وقام بوكوك بنشر الكتاب مع ترجمته اللاتينية في اكسفورد سنة ١٦٦٣م ونشر السمعاني مقتطفات منه في المكتبة الشرقية، ونقله الى الألمانية (لورنزبور) عام ١٧٨٣. وأخيرا طبعه أنطون صالحاني اليسوعي في بيروت سنة ١٨٩٠م، وأضاف اليها فهرسا لأسماء الأعلام وتوفيقا بين السنوات الهجرية والميلادية[٥٦]، وأعيد طبعه في بيروت عام ١٩٥٨.

وعلى الرغم من إعجاب السريان اليعاقبة بعظمة ابن العبري[٥٧]، فأن المستشرقون يبدون كثيرا من التحفظ تجاهه، فهذا المستشرق البريطاني ج. ب . سيغال يقول بهذا الصدد ((لا نستطيع الاعتماد على المؤرخين الذميين كي ينقلوا أحداث عصورهم الرئيسية لأنهم كانوا ينتمون الى أقلية تعيش على إنفراد، معزولين عن مجالس الملوك والأمراء، في هامشية سياسية، متفرجين لا مبالين ولا مكترثين لمجريات الأحداث ، تتغلب عليهم الخيبة))[٥٨]. أما المستشرق الآخر بيترس كبير جمعية البولنديين العامية وهم اختصاصي علم سير القديسين المسيحيين، لم يتوان ان يكتب عن ابن العبري : ((يضيف الى الدونية الناتجة من تأخره زمنيا كونه نسطوريا انتقل الى مذهب اليعقوبية))[٥٩].

المبحث الثاني
الطوائف النصرانية الشرقية والموقف من الفرنجة الصليبيين

في مطلع القرن السابع الميلادي، كان النصارى مختلفون فيما بينهم ومتفرقون الى كنائس عديدة. وكان أساس الانقسام الذي فرقهم هو اختلافهم حول تفسير طبيعة السيد المسيح (عليه السلام). هل هو بشر مخلوق كسائر المخلوقات؟ ام هو الله المتجسد الذي تأنس فظهر بصورة عيسى[٦٠]. وبناء على ما تقدم يمكن اجمال المذاهب النصرانية المختلفة المنتشرة في العالم إبان طلوع فجر الاسلام في خمسة مذاهب رئيسية وهي:

١- المذهب الآريوسي (الموحدين)[٦١].
٢- المذهب النسطوري.[٦٢]
٣- المذهب اليعقوبي (المنوفيستي).[٦٣]
٤- المذهب الملكاني(الخلقيدوني-مذهب الدولة البيزنطية).[٦٤]
٥- مذهب المشيئة الواحدة (المونوتيلية).[٦٥]

أما المذهب الآريوسي فقد كان قد اندرس بعد تعرضه الى ضربات عنيفة من قبل رجال الدين من قبل اصحاب المذاهب النصرانية الاخرى الذين يؤلهون السيد المسيح (أي يجعلونه الها او ابن اله) بالتعاون مع بعض أباطرة الدولتين الرومانية الشرقية (البيزنطية) والرومانية الغربية على حدٍ سواء، وهذا ما بدا جليا في مقررات المجمع المسكوني الأول الذي عقد في مدينة نيقية عام ٣٢٥م ومجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م.[٦٦]

اما المنوفستيون فقد نظموا مذهبهم في ثلاثة كنائس قومية: كنيسة الأقباط في مصر، وكنيسة السريان اليعاقبة في بلاد الشام، والكنيسة الأرمنية في أرمينيا. وكانت الدولة البيزنطية قد خافت في عهد

امبراطورها هرقل (٦١٠-٦٤١) من ان ينظم هؤلاء الى اعدائهم الفرس الساسانيين، فقام سرجيوس بطريرك الاسكندرية الملكاني بطرح المونوتيلية كحل وسط بين المنوفستية والأثنينية الخلقيدونية.
ويتلخص هذا المذهب بأن للمسيح مشيئة واحدة او فعالية واحدة. وقد جاءت الصيغة العقائدية على الشكل التالي: ((إننا نعترف بمشيئة واحدة في ربنا يسوع المسيح الإله الحقيقي))[٦٧]

ففي سنة ٦٢٨م بعد ان نجح الامبراطور البيزنطي هرقل في حملته العسكرية ضد الفرس الساسانيين، قام بزيارة ديرمارون في جبل لبنان ليتدارس مع رهبانه في اتخاذ السبل الكفيلة بجمع شمل الكنائس النصرانية حول مذهب واحد. وقد نجح هرقل في استمالة هؤلاء الرهبان للمذهب الذي بلوره مع الاسقف ماسبيدونيوس (مذهب الإرادة الواحدة)، بهدف رأب الصدع مع اتباع مذهب الطبيعة الواحدة (المنوفستيين)، ومع اتباع مجمع خلقيدونية (الملكانيين – اصحاب الطبيعتين). وهذا ما جعل جماعة من سريان لبنان (الموارنة) يتبنون هذا المذهب.[٦٨]

ومع مرور الوقت ظهر عاملان ساعدا في تحرير الكنيسة المارونية من المؤثرات الغربية:
العامل الأول تمثل في الفتح الاسلامي لبلادهم لبنان الذي وضع حدا للاضطهادات التي كانت تمارسها الامبراطورية البيزنطية ضد الكنائس الشرقية، والعامل الثاني انه في القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري) تم ابعاد بطريرك انطاكية الملكاني الى القسطنطينية وعندها قرر اللبنانيون اختيار بطريرك من بينهم ليحمل لقب (بطريرك انطاكية والمشرق)، وهو اللقب الذي يتحلى به حتى اليوم.[٦٩]

ومهما يكن من أمر فإن الامبراطورية البيزنطية اعتمدت صيغة الإرادة الواحدة (المشيئة الواحدة للمسيح) طيلة اكثر من اربعين عاما. ثم حين جاء الامبراطور قسطندس الرابع اقنع البابا اغاثون بعقد مجمع في القسطنطينية الثالث عام ٦٨٠م: فكفر هذا المجمع اصحاب مذهب الإرادة الواحدة (المونوتيلية) بمرسوم عقائدي عادوا فيه من جديد الى النص العقائدي لمجمع خلقيدونية المنعقد عام ٤٥١م[٧٠].

أولا: النساطرة

اما النساطرة فبحسب قرارات مجمع افسس عام ٤٣١م اعتبروا مهرطقين وخارجين عن اجماع الكنيسة النصرانية[٧١]، لذلك التجأوا الى الامبراطورية الساسانية هربا من اساليب القمع والاضطهاد والتي كانت الامبراطورية البيزنطية صاحبة المذهب الملكاني تمارسها ضدهم. لذلك عاشوا في أمان في بلاد ما بين النهرين وإيران والمنطقة الكردية. وعند مجيء الحملات الصليبية الى بلاد الشام لم تحدث اية احتكاكات بينهم وبين الصليبيين لأسباب جغرافية وعقائدية. لذلك لا يستطيع الباحث ان يتكهن بما سيكون الموقف لو حدث تماس بين الجانبين. وعلى اية حال هناك رسالة موجهة من بطريرك النساطرة صبر يشوع الخامس الى البابا بندكتوس الرابع في سنة ١٢٤٧م توضح الى حد ما حقيقة ومشاعر النساطرة تجاه اخوانهم في الدين الفرنجة الصليبيين: ((كان من الواجب على كنائس المسيح كلها وعلى الأديرة وكل المؤمنين في الشرق والغرب ان يلبسوا المسوح ويجلسوا للاحزان ويبكوا على بيت المقدس وعلى ما حل به في ايامنا))[٧٢]

ثانيا : الملكانيين (الخلقيدونيين):

لما كان النصارى الملكانيين من أنصار الدولة البيزنطية، فإن غالبيتهم التحقت بالجيوش البيزنطية المنهزمة بعد الفتح الاسلامي لبلاد الشام ومصر وغيرها من المناطق. ولم تبقى الا جاليات صغيرة عاشت في المدن المهمة التي كانت مقرا للبطريركيات الملكانية مثل: بيت المقدس والاسكندرية وانطاكية.[٧٣]

ومن جانب آخر فإن الكنيسة الملكانية كانت قد انقسمت سنة ١٠٥٤م / ٤٤٦ هـ بفعل عوامل لاهوتية وطقسية وتنظيمية ولغوية وقومية الى كنيستين هي: الكنيسة الارثوذكسية اليونانية الشرقية و مقرها في القسطنطينية، والكنيسة الكاثوليكية الرومانية برئاسة البابا ومقرها في روما. [٧٤]لذلك لم يكن للملكانيين، او بعبارة اخرى اتباع الكنيسة الارثوذكسية شأن يذكر اثناء الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي. ويذكر احد الباحثين النصارى المعاصرين سجلا بالانتهاكات التي قام بها الفرنجة الصليبيون ضد اخوانهم في الدين الارثوذكس. ونحن اذا تصفحنا ما فعلته القيادات الصليبية العسكرية والدينية بالبطريركية المقدسية والانطاكية التابعتان للكنيسة الارثوذكسية، أدركنا لماذا لم يلب من النصارى (الروم الارثوذكس) إلا قلة التعاون مع المهاجمين[٧٥]. لذلك ابدل الصليبيون البطريركية الارثوذكسية المقدسية (اورشليم) ببطريركية لاتينية. وبذلك زالت البطريركية الاصلية ولو مؤقتا، وقد التجأ البطريرك الأرثوذكسي سمعان الثاني الى جزيرة قبرص. وبعد وفاته انتخب بطريرك لاتيني، وكذلك بدلوا الطقوس والعوائد حتى اصبح كل شيء لاتينيا، ولكن هذه المحاولة ولدت كراهية للاتين في نفوس (الروم الارثوذكس)، حيث اصبحوا ينتظرون بفارغ الصبر زوال هذا الملك المسيحي. ولما استرجع صلاح الدين بيت المقدس سنة ١١٨٧م/٥٨٣هـ اخذ البطريرك الارثوذكسي يقيم في المدينة المقدسة. اما بطريرك اللاتين فقد اقام بعدها في عكا التي اصبحت عاصمة لمملكة بيت المقدس اللاتينية وحتى سنة ١٢٩١م.[٧٦]

ثالثا: الكنائس المنوفستية (اصحاب الطبيعة الواحدة)

لابد من الإشارة الى ان الكنيسة المنوفستية قد انقسمت الى عدة كنائس قومية وهي:

١- كنيسة الاقباط في مصر والحبشة.
٢- كنيسة السريان اليعاقبة في بلاد الشام.
٣- كنيسة الأرمن في أرمينيا.[٧٧]

١- كنيسة الاقباط:

بخصوص موقف السريان الاقباط من الغزو الصليبي فلا توجد في المصادر روايات تفيد بحصول مجالات من التعاون والتنسيق بين الجانبين. فالصليبيون باعتبارهم من اتباع الكنيسة الكاثوليكية كانوا يحاولون بشتى السبل ارجاع الاقباط الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية دون جدوى.[٧٨]

ورغم سياسة الدولة الفاطمية المتسمة بالتسامح تجاه الاقباط، إلا ان هذا لم يحل دون فرض بعض الضرائب الاضافية عليهم لمواجهة الخطر الصليبي في بلاد الشام. كذلك كانت لدى الفاطميين مخاوف وشكوك في موقف الاقباط تجاه الصليبيين الذين احتلوا فلسطين واجزاء من الساحل الشامي وباتوا يهددون مصر نفسها. وبطبيعة الحال لم يكن الفاطميون على دراية بالخلافات المذهبية بين الاقباط اتباع مذهب الطبيعة الواحدة وبين الصليبيين اتباع مذهب الطبيعتين. ومن ثم فقد اختلط الأمر بالأذهان على حد تعبير احد الباحثين المعاصرين: ((على اساس ان هؤلاء واولاء كانوا في نهاية الأمر على دين واحد وهو المسيحية. ومن ثم كان من الضروري مراقبة سلوك الاقباط عن كثب من جانب السلطات الفاطمية. وظل هذا الموقف سائدا في الدوائر الرسمية طيلة الفترة المأساوية للعدوان الصليبي على المنطقة)). [٧٩]

ولقد توضحت عداوة الصليبيين للأقباط عندما قاموا بمنعهم من الحج الى كنيستي المهد والقيامة. وكان الاقباط حريصين على القيام بهذه الزيارة الى الأماكن المقدسة النصرانية في فلسطين. ولذا فإن موقف الصليبيين العدائي هذا قد اصابهم بالأسى الشديد.[٨٠]

٢- السريان اليعاقبة

كان السريان اليعاقبة يعانون من اضطهاد شديد من قبل الكنيسة الملكانية (الخلقيدونية) التابعة للامبراطورية البيزنطية، ولم تسنح لهم الفرصة للخلاص من العذاب والمشقة مثلما فعل نظراؤهم النساطرة، الذين عبروا الحدود البيزنطية قاصدين الامبراطورية الساسانية للاحتماء بها وطلب الأمان. لذا فإن السريان تعرضوا الى مشقات كثيرة لأن غالبية ديارهم وأديرتهم تقع ضمن النفوذ البيزنطي، لذلك صبت الكنيسة الملكانية البيزنطية جم غضبها عليهم واعتبرتهم هراطقة، وهذا ما دعى الكنيسة البيزنطية الى محاولة ارجاعهم الى حضن كنيسة الأم (كنيسة القسطنطينية) عن طريق الترهيب والترغيب دون جدوى.[٨١]

ولكن الانقسام الذي دب في الكنيسة النصرانية الأم، وشطرها الى قسمين: الكنيسة الارثوذكسية ، والكنيسة الكاثوليكية، غير مواقف بعض الطوائف النصرانية الشرقية، وهذا ما يبدوا واضحا في كلام بطريرك السريان اليعاقبة (ميخائيل السرياني) بقوله: ((لقد تعهد الافرنج (الصليبيون) امام الله في حالة دخولهم القدس، بأن يعطوا الأمان لكافة الكنائس المسيحية، ويعطوا كنائس وأديرة لكل شعب مؤمن بالمسيح))[٨٢]. كذلك فإن موقف نصارى المشرق قد تغير اثر سيطرة السلاجقة الاتراك على غالبية المدن والمناطق التي كانوا متركزين فيها[٨٣]، غير ان المؤرخ الرهاوي المجهول يحدد بداية الغزو الصليبي ((بالسنة الحادية والخمسون لاستيلاء الاتراك (السلاجقة) على هذه البلدان...))[٨٤]. لذا فإذا كانت الكنيسة الملكانية الخلقيدونية قد أذاقت نصارى المشرق الويل والثبور، فإن الفرنجة الصليبيون الذين ينتمون الى كنيسة اخرى (الكاثوليكية) ربما جاؤوا محررين للنصارى بكافة مذاهبهم، لاسيما وأن هدفهم كان استرداد الأماكن المقدسة النصرانية في فلسطين. ويذكر الرهاوي رواية بهذا المعنى ((ولما سمع الرهاويون (السريان والأرمن) ان الفرنج وصلوا وحلوا في حدود انطاكية، اقتربوا من تاودوروس بن حاتم (هيثم) وقالوا له : نريد ان ترسل فتجلب لنا عونا من جنود الفرنج لكي يحموا المدينة من نهب الاتراك...))[٨٥]

٣- الأرمن

تتفق كل المصادر الاسلامية والسريانية وغيرها على ان حاكم مدينة الرها الأرمني (توروس بن هيتوم) قد سلم مفاتيح المدينة الى القائد الصليبي بلدوين.[٨٦]

ان المبادأة التي قام بها الرهاوين حينذاك غير مؤكد انها كانت بإيعاز والحاح من توروس بن هيتوم. وهناك رواية قد تكون قد اخترعت فيما بعد، تؤكد ان توروس كان متيقنا بأن الرهاويين سيطلبون من الصليبيين دخول المدينة مهما كان رأيه، ولذلك تعاون معهم ضد إرادته[٨٧]. وعلى كل حال فإن بعثة من وجهاء المدينة برئاسة مطران طائفة الأرمن[٨٨] ذهبت لاستقبال بلدوين على تل بشير الواقع غرب المدينة ودعوه ليدخل الرها. فقابل اقتراحهم بفرح، وشعر الصليبيون ان ذلك فأل حسن ففرحوا وقالوا: ((مثلما آمنت الرها بالمسيح قبل القدس، هكذا فإن المسيح أعطانا إياها قبل القدس))[٨٩].

اما بشأن مدينة سقوط انطاكية بيد القائد الصليبي جود فري، فقد اكد ميخائيل السرياني ان ذلك جرى بسبب خيانة اخوان ارمنيان مسؤولان عن برج الحراسة.[٩٠]

وقد تزامن هجوم الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي مع قيام مملكة ارمينية الصغرى التي كانت قد تنامت في اقليم كليكيا الواقع جنوب الاناضول على ساحل البحر الكبير (المتوسط)، واتخذت من مدينة سيس[٩١] عاصمة لها. وقد توالى على حكم هذه المملكة اسرتان ارمنيتان: الأولى من طبقة البارونات، والثانية ممن تلقبوا بالملوك، وهما اسرة روبين التي حكمت ما بين اعوام (١٠٨٠-١٢١٩م / ٤٧٣- ٦١٦ هـ) ، ثم اسرة هيثوم من (١٢٢٦ – ١٣٧٥م / ٦٢٤ – ٧٧٧هـ).[٩٢]

ولقد اقامت هاتان الاسرتان علاقات ودية مع الصليبيين، كما انضم الارمن الى الصليبيين في قتالهم ضد السلاجقة. وقد توثقت العلاقة بين الأرمن والصليبيين بالمصاهرة أيضا، فقبل ان يقيم الصليبيون مملكة بيت المقدس اللاتينية، تزوج القائد الصليبي بلدوين من مورفيا ابنة الامير الارمني جبريل من الرها.[٩٣]

رابعا: الموارنة

عندما هاجمت الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي، بدأ اتصال الموارنة بالغزاة الصليبيين وبالكنيسة الكاثوليكية. وكان الموارنة مثلهم في ذلك مثل - الارمن – قد رحبوا بقدوم الصليبيين الى المنطقة وتعاونوا معهم ضد المسلمين.[٩٤]

ومنذ بداية الحروب الصليبية بدا واضحاً أن الموارنة قد القوا بأنفسهم في حضن الصليبيين الغزاة. وكان الموارنة يعملون كأدلاء للصليبيين في الممرات والمسالك الجبلية والوديان في بلاد الشام وعلى طول الساحل، ومن ثم قدموا الكثير من العون للحملة الصليبية الأولى. بل ان هذا التورط قد زاد عندما دخلت فرقة من رماة الرماح الموارنة للخدمة في صفوف الصليبيين. ثم ما لبث الموارنة إن تصاهروا مع الصليبيين، ومن هذه الزيجات المختلفة خرج نسل مهجن ممن عرفوا في المصادر بأسم (الأفراخ - Pullani). كما ان عدداً من الموارنة قد استقروا مع الصليبيين في إمارة طرابلس التي استولى عليها الصليبيون[٩٥].

كما ان الكهنة الموارنة اخذوا يستخدمون الطقوس الكاثوليكية في كنائسهم، وهي طقوس غريبة على ميراث الكنائس الشرقية، من قبيل تزيين الرأس بالتاج الروماني والتزيّ بمنطقة من الجلد حول الوسط. كما ان الكثيرين من ابناء الموارنة كانوا يترددون على الكنائس الصليبية الكاثوليكية. ويذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري ان اربعين الفا من الموارنة نزلوا من جبالهم في شكل جماعي لينفصلوا عن هرطقتهم الدينية (مذهب الإرادة الواحدة) وليعلنوا ايمانهم بالمذهب الكاثوليكي والخضوع للبابا الروماني، وذلك امام بطريرك انطاكية الصليبي (عموري)، وهذا الرقم انما يشير الى الذكور فقط، مما يعني ان عدد الموارنة بما في ذلك نساء واطفال هذه المجموعة كان يربو عل مائة الف في القرن الثاني عشر. ونجد المعلومات نفسها عند الرحالة الصليبي الدومنيكاني (بيركهارد) عام ١٢٨٣م / ٦٨٢هـ اذا انه يذكر ان الموارنة في مقدورهم تقديم اربعين الف من المحاربين للخدمة مع الجيوش الصليبية.[٩٦]

المبحث الثالث
موقف المؤرخين السريان من معركة حطين وتحرير بيت المقدس

أولا: موقف المؤرخين السريان من معركة حطين ١١٨٧م/٥٨٣ هـ

مما لا شك فيه أن هناك تداخلا في عناوين الروايات التي يوردها كل من ميخائيل الكبير، والرهاوي المجهول بين معركة حطين وتحرير بيت المقدس، فعلى سبيل المثال ان عنوان ميخائيل لهذه الحادثة هو كما يلي:((في انتزاع صلاح الدين سلطان مصر، القدس من الافرنج واخضاعها للمسلمين وغيره من الأحداث التي في هذه الفترة))[٩٧]. أما عنوان الرهاوي فهو:((الحرب على الفرنج والانتصار عليهم والاستيلاء على مدنهم وتخريب بلدانهم ونهبها واحتلال اورشليم وإبادة سكانها إبادة تامة))[٩٨].

أما ابن العبري فإنه لا يعتمد على ذكر عناوين الاحداث في كتابيه تاريخ الزمان، وتاريخ مختصر الدول، لأنه يعتمد على نظام الحوليات حسب السنين فحسب.

ان ميخائيل والرهاوي يعتمدان على التاريخ اليوناني في سرد الحوادث الخاصة بموضوع البحث وفي غيره. أما أبن العبري فإنه يذكر التاريخ اليوناني [٩٩] وبجانبه تاريخ العرب [١٠٠] (الهجري) في كتابة تاريخ الزمان المؤلف أصلا باللغة السريانية والمترجم حديثا الى العربية، بخلاف كتابه الآخر تاريخ مختصر الدول المؤلف باللغة العربية أصلا فإنه يذكر التاريخ الهجري فقط في بداية كل حادثة.

أما بخصوص بيان مواقف المؤرخين الثلاثة من معركة حطين ونتائجها. فإن موقف ميخائيل السرياني يتجلى في أن السبب في خسارة الفرنجة حسب ما يقال:((...يقال أن حاكم طرابلس[١٠١] الذي

كان يطمح الى الملوكية[١٠٢] لم يفلح في الوصول اليها، فتمرد و هرب، وهو الذي غدر بالأفرنج))[١٠٣]. أما السبب الحقيقي للخسارة فهو يرجعها كرجل دين الى ابتعاد الفرنجة عن الله وكثرة خطايانا (أي أخطاء السريان اليعاقبة) لأنه كان زعيمهم الروحي وبطريركهم وهذا ما بدا واضحا في قوله : ((سنة ١٤٩٨ (يونانية) أجمع صلاح الدين جيشا من مصر والعربية... وتصدي للافرنج الذي ترض الله الطرف عنهم بسبب خطايانا))[١٠٤]. كما انه يشير في موضع آخر كأنه يضع أصبعه على الجرح :((أما أنا فأقول: ما كانوا ليهزموا لو لم يتركهم الله، لأن عصفوراً لا يسقط في الفخ إلا بإشارة من فوق وأن صلاحا[١٠٥] بشخصه قتل الشيخ أرنغد (ارنولد) [١٠٦]و ٣٠٠ فزيد[١٠٧] وأغتسل بدمهم))[١٠٨].

وبشأن النتائج التي أسفرت عنها هذه المعركة يقول: ((ثم دمر طبرية وقتل من فيها، وللحال شخص الى عكا فهرب أعيانها الى صور عن طريق البحر فسلمها من بقي من السكان الى صلاح الدين. ثم سبو قيصرية ويافاد السامرة والناصرة، وامتلأت الدنيا بالأسرى))[١٠٩]

أن الخسارة الفادحة التي لحقت بالفرنجة الصليبيين أخوة السريان اليعاقبة في الدين جعلت ميخائيل السرياني يقول في تاريخه :((إن الكلام ليعجز عن التعبير عن جميع الإهانات والمذلات والاحتقار التي سأمها المسلمون الشعب المسيحي المضطهد، في دمشق وحران والرها و آمد (دياربكر) وماردين والموصل وسائر انحاء المملكة))[١١٠].

فيما يبدو موقف الرهاوي واضحا في أن سبب خسارة الفرنجة للمعركة يعود :((لسوء تصرفهم))[١١١]، أو يرجع حسب كلام الناس: ((أما كونت طرابلس فقد تمكن من الفرار في هذه النكسة. ولدى بلوغه الى بلاده توفي بعد أيام قليلة غما وأسى. ويقولون أنه هو الذي خان الفرنج وكان سبب تلك الهزيمة))[١١٢]. وعندما يستعرض نتيجة المعركة فإن يصورها بطريقة تكاد تكون بشعة بقوله: ((وأبيد بحد السيف خلق كثير لا يحصى... ،اسر منهم أسرى كثيرون يقدر عددهم بأكثر من عشرين ألاف حتى أنهم كانوا يربطونهم بالحبال مثل الكلاب ويجروهم الواحد تلو الآخر...))[١١٣].

وبشأن أعداد القتلى والذي قتلوا صبرا – فإنه يبالغ فيها بالمقارنة مع ما عند زميليه – ولعله بهذه المبالغة أراد استفظاع ما ترتب عليها من نتائج لكي يبين مدى همجية المقاتل المسلم؟ قياسا بالمقاتل الصليبي: ((و باد بحد السيف أكثر من ثلاثين ألفا وقبض على ملك اورشليم حيا... وعلى أكثر من مائة وخمسين من الأخوة ((الهيكليين)) و ((المضيفين)) (هوسبيتالية)[١١٤] ووضعوا على حدة وأرسلوا الى سجن دمشق، ما خلا الأمير رينو[١١٥] حتى ارتفع تل من القتلى أمام خيمته...))[١١٦].

ومن جانب آخر فإن الباحث يستطيع أن يلاحظ إشارة هامة في موقف الرهاوي مقارنة مع موقف زميليه، وهو أن استعمل أكثر من عشر مرات الألفاظ الدالة على التخريب والتدمير والإبادة والنهب في الفقرة ٤٨٣ من تاريخه الذي يتحدث عن معركة حطين وما ترتب عليها.[١١٧]

من الملاحظ ان موقف ابن العبري يختلف في هذا السياق عن موقف سابقيه ففي كتابه المختصر لم يتطرق البتة الى معركة حطين وإنما مر عليها مرور الكرام ففي معرض كلامه عن حوادث سنة ٥٨٣ هـ ذكر ما يلي : ((وفي سنة ثلاث وثمانين ملك صلاح الدين مدينة طبرية وقلعتها وسار عنها ونزل على عكة))[١١٨] أما في كتابه التاريخ السرياني فقد توسع بعض الشيء وذكر امورا لم ترد عند ميخائيل والرهاوي، ففي البداية أجزل المديح لمقاتلي الفرنجة واتهم مقاتلي العرب (المسلمين) بالجبن ((ولما اصبحوا وشاهد العرب شجاعة الفرنج وهم يقتحمون اقتحام الدبابير ولا يتقهقرون اضطربوا كل الاضطراب وفشلوا وارتعدت ركبهم))[١١٩].

وبخصوص فشل الفرنج في المعركة فإنه القى باللوم على قمص طرابلس لأن ((قلبه كان مملوءا غشا ومكرا))[١٢٠] فخاف من أن يحرز الفرنج النصر و الظفر وهذا مخالف للنصح التي أبداها لقادة الفرنج بالعدول عن القتال. لذا ما أن استمر القتال حتى حاول خرق صفوف جيش المسلمين فكان ان سمح له الآخرين باختراق صفوفهم حيث نفذ منها مع شر ذمة من مقاتليه وتوجه الى طرابلس وكان هذا الانهزام مدعاة الى هزيمة الفرنجة ((ولم يبق بينهم من يثق بصاحبه))[١٢١] على حد تعبيره.

والأمر اللافت للنظر ان العبري كان حريصا على ابراز مثالب صلاح الدين بسبب أسيره ارناط (ارنولد دي شانيون) حاكم حص الكرك، و أورد بهذا الشأن رواية لا بأس أن نذكرها ((... وكان العطش قد اجهد جي (لوزجان) زوج الملكة صاحبة طبرية والبرنس ارناط... وكان العطش قد اجهد جي فطلب ماء ليشرب. فأمر صلاح الدين فأتون بماء ممزوج بالثلج فشرب نصفه و دفع النصف الثاني لأرناط. فقال له صلاح الدين لا يجوز أن تسقيه دون أمري. قال جي: أن الاعتقال موت فلا تمته مرتين، والانكسار قتل فلا تقتله قتلتين فأعجب صلاح الدين كلامه واعتزم ان يعفو عن ارناط لكن الزعماء حرضوه على قتله وقالوا: لا يستحق هذا ان يبقى حيا لأنه أقسم مرارا وحنث في يمينه...))[١٢٢] ، ويستطرد ابن العبري ان صلاح الدين ارسلهما أي الملك وارناط الى خيمة اعدت خصيصا لهما، ولما مر بعض الوقت حتى أمر صلاح الدين باحضار ارناط وأستل سيفه وقتله بيده.[١٢٣] وما لم يذكره ابن العبري في روايته فإن صلاح الدين كان قد أقسم لو أظفره الله بأرناط، فإنه سيقتله بيديه لأنه كان قد غدر ومكث كثيرا بوعوده وتفوه بكلمات غير لائقة بحق نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ((قولوا لمحمد يخلصكم))[١٢٤] وكان هذا في معرض رده، عندما طلب منه صلاح الدين اطلاق سراح الأسرى وإعادة الأموال المنهوبة من القافلة التي كان قد استولى عليها وهي في طريقها من القاهرة الى دمشق في أواخر سنة ١١٨٦م / ٥٨٢ هـ و أوائل سنة ١١٨٧ / ٥٨٣ هـ.[١٢٥]

أما بشأن الفرسان الداوية والاسبيتالية فإن روايته تكاد تكون مطابقة لروايتي ميخائيل والرهاوي. غير انه نقل رواية ميخائيل بخصوص ما احتمله النصارى القاطنون في ((أصقاع العرب)) حينئذ من الاستهزاء والسخرية.[١٢٦]

ثانيا: موقف المؤرخين السريان من تحرير بيت المقدس

رغم ان موقف المؤرخين السريان الثلاثة من تاريخ معركة حطين كان واضحا، وهو التشهير بصلاح الدين وبالنصر الذي احرزه كل حسب منظوره الديني، وبالزاوية الخاصة التي ينظر بها الى الأحداث إلا ان الموقف بشأن تحرير بيت المقدس أصبح مختلفا بعض الشيء، رغم أهمية المدينة المقدسة بالنسبة للمسلمين والنصاري على حد سواء. فإن ابن العبري رغم توسعه في نشر وما حدث من الوقائع المهمة عندما حرر صلاح الدين بيت المقدس، فإنه يقول: ((بان فتح المدينة قد تم بطريقة سلمية، رغم حصول بعض المناوشات في بداية حصار صلاح الدين لها في العشرين من شهر رجب عام ٥٨٣ هـ بواسطة المنجنيقات التي نصبها الطرفان وقذائف السهام وغيرها من الأسلحة.[١٢٧]

ولما أدرك النصارى المحاصرون داخل المدينة استحالة المقاومة لذلك أرسلوا اثنين من زعمائهم للنظر في طلب الأمان وتسليم بيت المقدس، بشرط احترام من بالمدينة من الصليبيين والسماح لمن يشاء بمغادرتها، ولكن صلاح الدين رفض وأصر على تسليم المدينة دون قيد أو شرط، لأنه أقسم على الاستيلاء عليها بحد السيف، وقال لرسل الصليبيين ((سأفعل بكم كما فعلتم بالمسلمين حين ملكتموه سنة احدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي))[١٢٨] ، فقال له احد هذين الزعيمين وهو (باليان دي إبلين) : ((فإذا رأينا أن الموت لابد منه والله لنقتلن أولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا و لا نترككم تغنمون منا ديناراً و لا درهماً و لا تسبون وتأسرون رجالاً أو إمرأة. فإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى) ثم نقتل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة ألاف أسير ولا نترك لنا دابة و لا حيوانا إلا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا و حينئذ لا يقتل الرجل منا حتى يقتل أمثاله و نموت أعزاء أو نظفر كرماء...))[١٢٩]

فأستشار صلاح الدين أصحابه في الموقف فأجمعوا على اجابتهم على الإمان، وعلما أن يغادر النصارى المدينة مقابل فداء عشرة دنانير (يستوي فيها الغني والفقير)[١٣٠] وخمسة للمرأة وكل ابن وبنت دينارين[١٣١]، واشترط صلاح الدين أن يؤدي الصليبيون الفداء المفروض عليهم في مدى أربعين يوما ((فمن أدى ذلك الى اربعين يوما فقد نجا وإلا صار مملوكا))[١٣٢]. ويعترف ابن العبري ان مظفر الدين بن زين الدين اطلق سراح نحو ألف شخص من السريان والأرمن مجانا وهو يقول ((إن هؤلاء هم رهاويون من ابناء رعيتي)) [١٣٣]، وسار على نهجه ابن شهاب الدين صاحب البيرة (فأطلق الكثيرين من ابناء البلدة))[١٣٤].

ويستطرد ابن العبري بأن صلاح الدين سمح لملكة يونانية اتشحت بثوب الرهبانية وكان قد ترهبت في احد الأديرة بالخروج مع الشمامسة والشمامسات والخدم مع كافة أموالها وأرسل معها بعض الفرسان لحمايتها الى حدود الفرنج[١٣٥]. ولكن المدهش ان ابن العبري عندما يذكر رواية خروج هرقل بطريرك اورشليم اللاتيني فإنه يذكر الخبر تقوله: ((ونقل البطريرك جميع امتعة كنيسة القيامة وسائر الكنائس (قناديل الذهب والفضلة وارتحل)) [١٣٦]دون تعليق، دون ان يبالي بفقراء الصليبيين الذين لم يجدوا ثمن فدائهم، بينما دفع البطريرك عشرة دنانير ثمنا لفداء نفسه فقط.[١٣٧]

والرواية الوحيدة التي ذكرها ابن العبري بمثابة انتقاص من تصرفات المسلمين وهي قوله: ((وقد ارتشى بعض حراس العرب (المسلمين) من كثير من المسيحيين ديناراً او اكثر وسرحوهم))[١٣٨].

أما الرهاوي فيقول بأن استرداد اورشليم قد جرى في بحر من الدماء والجرائم. ونظرا لأهمية روايته، وعدم نشرها في الترجمة العربية التي قام بها الكاهن البير أبونا لأسباب قاهرة حسب ادعائه[١٣٩]، لذا ارتأينا إدراج نصها بالكامل: ((وكنا نحن الحقيرين المنكودي الحظ يومئذ في اورشليم وأبصرنا بأعيننا ما افتعله المسلمون من الغوائل والمنكرات والقبائح مما يعجز لساننا عن تعبيره ووصفه، فإن المسلمين باعوا الأواني القدسية في أسواق المدينة وجعلوا الكنائس والهياكل مراحاً للخيل واسطبلات للدواب ومسارح للملاهي ومواخير للخلاعة. وكانوا يركبون المنكرات ما شاءت وحشيتهم من الرهبان والنساء المحصنات والراهبات العفيفات. واستاقوا الفتيان والفتيات وطوحوهم في أطراف البلاد. وعروا الكنائس لا من الزينة فحسب بل من الحديد والأخشاب والأبواب والرخام المطعم في الجدران والمرصوف في الأراضي. ونقلوا ذلك كله الى بلاد سحيقة بيد أنهم أشفقوا على كنيسة القيامة الكبرى وأقاموا فيها حراسا لا حرمة لها بل طعما في ما يردها من الهدايا والتقادم اذ كانوا يقبضون عشرة دنانير من كل مسيحي يدخلا ويسجد في ضريح الفادي))[١٤٠].

وكتب ميخائيل السرياني: ((ان صلاح الدين حرر عشرين الف رجل وأمرأة من النصارى، فأطلق سراح أربعة الاف من الشيوخ والعجائز، وخصص ستة ألاف لخدمة جنوده اتخذوهم عبيدا وجواري، وأرسل خمسة آلاف الى مصر ليرمموا أسوارها وترك خمسة آلاف في القدس ليبنوا كذلك سورها، أما هيكل سليمان الذي ابتنوه حديثا فإنهم طهروه طبقا لشريعتهم. ومنعوا من أن يطأه النصارى، وأغلقوا كنيسة القيامة، فكان النصارى العبيد والمتخلفين في المدينة يحجون إليها دائما ويصلون عند أبوابها دائما باكين منتحبين))[١٤١].

ومهما يكن من أمر فإن النصارى السريان بكوا كلهم سرا على سقوط المدينة المقدسة في قبضة صلاح الدين[١٤٢]، مع ان المسلمين لم يتصرفوا فيها بنفس الوحشية التي أظهرها الفرنج حين ملكوها[١٤٣]. ويذكر احد الباحثين النصارى المحدثين. بأنه بعد سنة من فتح بيت المقدس نجد احد نصارى العراق وهو من اهالي بلدة برطلة الواقعة شرق الموصل من السريان اليعاقبة يؤرخ الفراغ من نسخة مخطوطة ((بالسنة الاولى بعد الفتح الرهيب لبيت المقدس)). أي سنة ١١٨٨م/ ٥٨٤ هـ[١٤٤].

كما ان النساطرة رغم اعتبارهم مهرطقين من قبل غالبية كنائس النصارى الشرقية والغربية على حد سواء فإن زعيمهم الديني الجاثليق صبر عبد يشوع (١٢٢٦ – ١٢٥٦م/ ٦٢٣-٦٥٤هـ) كتب

الى الباب بنديكتوس الرابع رسالة في سنة ١٢٤٧م / ٦٤٥هـ بعد ستين سنة من تحرير بيت المقدس جاء فيها : ((كان من الواجب على كنائس المسيح كلها وعلى الأديرة وكل المؤمنين في الشرق والغرب ان يلبسوا المسوح ويجلسوا للأحزان يبكوا على بيت المقدس وعلى ما حل فيه في أيامنا))[١٤٥]

وهناك نقطة مهمة لم يشر اليها المؤرخون السريان الثلاثة الا ضمناً، وأوضحها بشكل جلي المؤرخون النصارى المحدثين ، وهي أن نصارى المشرق لم يهتموا كثيراً بانصارات المسلمين ولا بسقوط بيت المقدس بأيدي المسلمين، ولا باستعراض فرسان الفرنجة الصليبيون الاسرى (بدروعهم ورایاتهم المنكوسة) بحالة الذل والهوان في شوارع بغداد ، الا ان ما أثارهم وحز في نفوسهم هو أن صلاح الدين أرسل سنة ١١٨٩م/٥٨٩هـ قبيل وفاته الى الخليفة العباسي المستنصر بالله الصليب الذي كان قد نصب فوق قبة الصخرة في بيت المقدس . فان هذا الصليب الذي كان من البرونز الموشى بالذهب وضع عند عتبة باب بغداد المسمى باب النوبي، وكان جزء منه مكشوفا بحيث يتسنى للمارة ان يطأوه بأقدامهم ويبصقوا عليه[١٤٦].

ويبدوا للباحث ان الباحثين والمؤرخين النصارى ربما أشاروا الى الرواية التي وردت في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبو شامة: (وقال ابن القادسي: قدم ابن الشهرزوري ومعه صليب الصلبوت الذي تعظمه النصارى، فدفن تحت عتبة باب النوبي الشريف يبين منه شيء قليل، وكان من نحاس وقد طلي بالذهب، فجعل يداس بالأرجل، ويبصق الناس عليه وذلك شهر سادس عشر ربيع الآخر، ٥٨٥هـ[١٤٧].

ولكن الخلاف بين المؤرخين القدامى والمحدثين هل ان صليب الصلبوت هذا تم اخذه من بطريرك عكا (هرقل) اثناء خسارة الصليبيين لمعركة حطين، او تم انزاله من فوق قبة الصخرة المشرفة بعد ان وضعها الصليبيون عليها اثر احتلالهم لها وتحويل المسجد الأقصى المبارك الى كنيسة، كما وردت في المصادر الاسلامية أعلاه.

الاستنتاجات

رغم أهمية هذه المصادر السريانية في استجلاء حلقات مفقودة من تاريخ الحروب الصليبية، فإنها لم تخل من سلبيات منها:

١- تتسم هذه المصادر بأسلوب السرد والنقل مع نزعة غيبية ظاهرة كونها تعتمد على معجزات القديسين التي لا يمكن تأويلها بأي شكل من الأشكال.[١٤٨]

٢- تفتقر هذه المصادر الى الموضوعية بدرجة كبيرة[١٤٩]، وأكبر دليل على ذلك ما أورده المستشرق البريطاني ج. ب . سيغال بقوله بهذا الصدد ((لا نستطيع الاعتماد على المؤرخين الذميين كي ينقلوا أحداث عصورهم الرئيسية لأنهم كانوا ينتمون الى أقلية تعيش على إنفراد، معزولين عن مجالس الملوك والأمراء، في هامشية سياسية، متفرجين لا مبالين ولا مكترثين لمجريات الأحداث ، تتغلب عليهم الخيبة))[١٥٠]، لكن لا نستطيع ان ننفي عنها هذه الصفة بصورة كاملة.

٣- يغلب على هذه المصادر الطابع الاسطوري الخرافي، وعدم الدقة في التواريخ المحلية والعالمية[١٥١].

٤- ظاهرة التعصب الأعمى التي رافقت هذه المصادر خلال المراحل الحروب الصليبية التي استمرت حوالي القرنين[١٥٢].

المصادر والمراجع والهوامش

١-ملطية: بلدة تقع في بلاد الروم تتاخم الشام، هي من بناء الاسكندر الكبير المكدوني، وجامعها من بناء الصحابة. قال خليفة بن خياط: في سنة ١٤٠ هـ وجه الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور عبدالوهاب

من ابراهيم الإمام لبناء ملطية فأقام عليها سنة حتى بناها واسكنها الناس وغزا الصائفة. ينظر: (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت ١٩٨٦، مج ٥ ص ١٩٢-١٩٣.

٢- دير برصوم: دير يقع على رأس جبل يشبه القلعة ولذلك سماه بعضهم دير الكهف، يقع بالقرب من مدينة ملطية، ذكر في التاريخ الكنسي سنة ٧٩٠م وصار كرسيا بطريركيا للسريان اليعاقبة في القرن الحادي عشر حتى اواخر الثالث عشر، وكان ديرا عظيما دعم الكنيسة السريانية بخمسة بطاركة واربعة وثلاثين مطرانا، وظل عامرا بأهله حتى اواسط القرن السابع عشر ثم عصف الدهر بأهله. ينظر(افرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، قدم له ونشره يوحنا ابراهيم، سلسلة التراث السرياني، حلب، الطبعة الخامسة ١٩٨٧، ص٥٠٩.

٣- البير ابونا: ادب اللغة الآرامية، دار المشرق – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦، ص٤٣٤.

٤-برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٩٥؛ يوسف حبي: التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي- هيئة اللغة السريانية، بغداد ١٩٨١-١٩٨٢م، مج ٦ ص ٨٢.

٥-البير ابونا: ادب اللغة الآرامية، ص.٤٣٥

٦-عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة اسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٢٤٥.

٧-البير ابونا: ادب اللغة الآرامية، ص.٤٣٥

٨-البير ابونا: المرجع السابق، ص٤٣٤-.٤٣٥

٩-الألبيون AlBigenses: اتباع حركة دينية منشقة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا مناهضة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية والتي كانت تعارض نمو مدن العصر الوسيط. وكان أحد مراكز الحركة يقع في بلدة (ألبي) في المقاطعة الفرنسية لانجدوك . وقدر رفضوا مبدأ التثليث والأسرار المقدسة للكنيسة وتبجيل الصليب والأيقونات ولم يعترفوا بسلطة البابا. وبعد ان اعلن البابا انهم ملعونون اقاموا كنيستهم الخاصة بهم واعلنوا استقلالهم عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وقد شن البابا انوسنت الثالث حملة صليبية عليهم عام ١٢٠٩م انتهت بهزيمتهم هزيمة نهائية وتم قمعهم بصفة نهائية مع نهاية القرن الثالث عشر. ينظر (المعجم العلمي للمعتقدات الدينية: تعريب وتحرير سعد الفيشاوي، مراجعة عبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ص١٢٠)

١٠-روبنس دوفال: تاريخ الأدب السرياني، ترجمة لويس قصاب، منشورات مطرانية السريان الكاثوليك، ص٢١٩؛ البير ابونا: المرجع السابق، ص.٤٣٨

١١-برصوم: المرجع السابق، ص٣٩٥؛ البير ابونا: المرجع السابق، ص.٤٣٨

١٢-سبستيان بروك: القرن السابع الميلادي في المصادر السريانية، ترجمة زيا نمرود كانون، مجلة المجمع العراقي- العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، بغداد، ١٩٨٩، مج١٣ ص.٧٧

١٣-يوسبيوس القيصري: عرف ايضا باسم يوسبيوس بامفيلي، كاتب روماني في المسائل الكنسية، ومؤرخ كان اسقف قيصرية بفلسطين ما بين ٣١١ حتى وفاته سنة ٣٤٠م، أهم مؤلفاته تاريخ المسيحية عام ٣٢٤م، حياة الامبراطور قسطنطين. وكان يوسبيوس من اوائل الكتاب المسيحيين الذي حاولوا التوفيق بين منجزات العلم الكلاسيكي ومصالح الكنيسة المسيحية. ينظر (المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ص٢١٢).

١٤-البيرا بونا: المرجع السابق، ص٤٣٨؛ سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ص.٢٤٨

١٥-يوحنا الأسيوي: تاريخ الكنيسة- الكتاب الثالث، ترجمة صلاح عبد العزيز محجوب، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ص٢٤

16- يوسف حبي : التواريخ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي – هيئة اللغة السريانية بغداد ١٩٨١٤-١٩٨٢ ، مج٦، ص٨٥.

١٧- اغناطيوس افرام الاول برصوم : اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، سلسلة التراث السرياني _ حلب ، الطبعة الخامسة، ١٩٨٧م، ص١٣٠
١٨- المرجع السابق ، ٤٠٣
١٩- الرهاوي المجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، عربه عن السريانية ووضع هوامشه الأب البيرابونا ، بغداد ١٩٨٦ ، ص٧ بقلم المعرب.
٢٠-حنا فييه : كنيسة المشرق قبل الإسلام ، تعريب جاك إسحق ، مجلة بين النهرين ،بغداد ، السنة الأولى - العدد الثاني نيسان ١٩٧٣ ، ص١٥٩
٢١-الرهاوي المجهول : المصدر السابق ، ص٨ تعليم المعرب
٢٢-افرام الأول برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤٠٣-٤٠٤
٢٣-كوركيس عواد: من أفذاذ البطاركة السريان في العصر الحديث ، مجلة المجمع العلمي العراقي- العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، بغداد ، مج٩ ص١٢٩
٢٤- الرهاوي المجهول : المصدر السابق ، ص٥ تقديم المعرب.
٢٥-برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤٠٤ ، ويذكر برصوم بطريرك الأرثوذكس أن زميله أفرام الثاني رحماني بطريرك السريان الكاثوليك نشر الجزء الأول من تاريخ الرهاوي ولكنه وقع في أخطاء بسبب العجلة ، لذا عندما نشره بالتعاون مع المستشرق الفرنسي شابو تلافى هذه الأخطاء . ينظر (اللؤلؤ المنثور ، ص٤٠٤) .
٢٦-يوسف حبي : التواريخ السريانية ، مج٦ ص٨٥-٨٦
٢٧-حنافيي : كنيسة المشرق قبل الإسلام ، ص١٥٩ هامش٤
٢٨-الرهاوي المجهول : المصدر السابق ، ص٥
٢٩-برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤٠٤
٣٠-س.ن بروك : القرن التاسع الميلادي في المصادر السريانية ، ترجمة زيا نمرود كانون ، مجلة المجمع العلمي العراقي –العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية ، بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٩ ، مج١٣ ص٧٧
٣١-المرجع نفسه ، مج١٣ ص٧٧
٣٢-يوسف حبي : التواريخ السريانية ، مج٦ ص٨٥ ، وقد أخذ يوسف حبي عندما حدد تاريخ وفاة باسيل ب ١١٧٠م والصحيح ما اثبتناه .
٣٣-الرهاوي المجهول : المصدر السابق ، ص١٠ تقديم المعرب
٣٤- برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤١٣ ، وهناك خلاف في شطر البيت ما بين مؤلف ابونا وبرصوم ، حيث يذكر أبونا محل سيدنا عيسى لفظة (الرب) نقلا عن ديوان ابن العبري المطبوع في ديرمامرقس بالقدس سنة ١٩٢٩ ص٧١ .
٣٥-ابن العبري ، أبو الفرج جمال الدين : تاريخ الزمان ، نقله الى العربية اسحق أرملة ، قدم له جان موريس فييه ، دار المشرق – بيروت ١٩٩١ ص١١
٣٦-ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٢ تقديم
٣٧- برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤١٣
٣٨- البيرأبونا : أدب اللغة الآرمية ، ص٤٤٧ ، عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية ، ترجمة اسحق عبيد – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ، ص٢٤٨
٣٩-البيرابونا : المرجع السابق ، ص٤٤٧-٤٤٨ ، ابن العبري تاريخ الزمان ، ص١٦ تقديم
٤٠-برصوم : المرجع السابق ، ص٤١٣ ، ابونا : المرجع السابق ، ص٤٤٨
٤١-أبونا : المرجع السابق ، ص٤٤٨ ، سوريال : المرجع السابق ، ٢٤٩

٤٢- ديونيسيوس عنجور : تولى السدة البطريركية للسريان في ١٤ أيلول سنة ١٢٥٢م وبينما كان يصلي في كنيسة دير برصوم الواقعة بالقرب من ملطية في أيام صوم نينوى قتله الراهب سرجيوس والدياقون باسيليوس ورجل آخر يدعى ابراهيم – طالع السلاسل التاريخية للفيكونت دي طرازي ص٢٢ حاشية ٢ . ينظر : (البيرابونا : أدب اللغة الآرامية ، ص٤٤٣ هامش١٥٠).

٤٣- يوحنا ابن المعدني : ولد هارون في نهاية القرن الثاني عشر في جوار (معدن) القريبة من دياربكر (آمد) ولبس الاسكيم الرهباني وسيم كاهنا ، وصار كاتب أسرار لديونيسيوس عنجور الذي كان مطران ملطية . ثم سيم مطرانا لماردين ، ثم رقاه البطريرك اغناطيوس الثالث مفريانا للمشرق ، وبعد ذلك أغتال أحد الأكراد في طور عبدين لمفربان المشرق ديونيسيوس صليبا، وبعد نزاعات عديدة أصبح بطريركا لكنيسة السريان اليعاقبة الى ١٢٦٣م حيث وافاه الأجل ودفن في دير الباقسماط الواقع في منطقة سيس بكيليكيا جنوب غرب الأناضول . ينظر : (برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٥٢-٥٣ ، البيرابونا : أدب اللغة الآرامية ، ص٤٤٢-٤٤٣) .

٤٤- البيرابونا : المرجع السابق ، ص٤٤٨، سوريال : المرجع السابق ، ص٢٤٩

٤٥- ديرمارمتى : دير عظيم رفع بناؤه في أواخر القرن الرابع الميلادي، وصار كرسيا مطرانيا وهو كذلك الى وقتنا الحاضر، حوى في حقيبتها الأولى مجموعة كبيرة من الرهبان وتقلبت به الأحوال، حتى جدد عام ١٨٤٥م، انجب بطريركيين و ستة مفارنة و ثلاثة وثلاثين اسقفا. ينظر : (برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٥١٤).

٤٦- برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤١٢، البيرابونا : أدب اللغة الآرامية ، ص٤٤٩، ابن العبري المصدر السابق ، ص١٢ تقديم

٤٧- أبونا : المرجع السابق ، ص٤٤٩

٤٨-صليبا شمعون : ابن العبري غريغوريوس ابو الفرج ، الكاتب السرياني – عدد خاص ، بغداد ١٩٨٦ ، ص٦٣

٤٩- لويس ساكو : مادة ابن العبري ، معجم الأدب السرياني ، منشورات المجمع العلمي العراقي – هيئة اللغة السريانية – لجنة الملجم ، بغداد ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، ١٤ ص٥٧-٦٠

٥٠-رونبس دوفال : تاريخ الأدب السرياني ، ترجمة لويس قصاب ، منشورات مطرانية السريان الكاثوليك بغداد – العراق ١٩٩٢ ، ص٢٢١-٢٢٢ ، برصوم : المرجع السابق ، ص٤٢٤-٤٢٥ ، ابونا : المرجع السابق ، ٤٥٦-٤٥٨

٥١- بروك : القرن السابع الميلادي في المصادر السريانية ، مج١٣ ص٧٩

٥٢- دونال : تاريخ الادب السرياني ، ص٢٢١ ، برصوم : المرجع السابق ، ص٤٤٢٥ ، ابونا : المرجع السابق ،ص٤٥٧ ،سوريال : المرجع السابق ، ص٢٥٠

٥٣-ابونا : المرجع السابق ،ص٤٥٧ ، وقد نشر برنس وككيرش هذا التاريخ بجزئين في ليبسيك بالمانيا سنة ١٧٨٩ ، ثم نشره بالعربية القس اسحق أرملة في مجلة المشرق البيروتية ما بين سنين ١٩٤٩ و١٩٥٦ ، ونشرت دار المشرق هذه الترجمة في مجلدواحد سنة ١٩٨٦ بتقديم الباحث الدومنيكي جان موريس فييه . وترجمه الى الأنكليزية وطبعه بجزئين في اكسفورد سنة١٩٣٢ . وكان بيجان قد نشر نصه في باريس سنة ١٨٩٠ ، وأعاد نشره المطران جيجك في هولندا وجاءت منه نقول الى العربية في مجلة النجم الكلدانية بالموصل لسنة ١٩٣٠ ينظر : (دوفال : المرجع السابق ، ص٢٢١ ، ابونا : المرجع السابق ، ص ٤٥٧ هامش ٢٠٢ ، ابن العبري : المصدر السابق ، ص١٩ تقديم).

٥٤-برصوم : المرجع السابق ،ص٤٢٥ ، ابونا : المرجع السابق ، ص٤٥٧

٥٥-دوفال : المرجع السابق ، ص٢٢١-٢٢٢ ، ابونا : المرجع السابق ، ص٤٥٨-٤٥٩

٥٦- برصوم : اللؤلؤ المنثور ، لقد سطر البطريرك صفحات كثيرة في ترجمة ابن العبري بلغت اكثر من عشرين صفحة من القطعالكبير ، وهكذا الأمر بالنسبة لغالبية علماء السريان الذين أرخوا لأبن

العبري وأعتبروه أحد أعظم الشخصيات الذين أنجبتهم الكنيسة طيلة تاريخها ، قارن بهذا الصدد ترجمة ابن العبري في أدب اللغة الآرامية للكاهن العراقي البيرابونا ص٤٤٥-٤٦٠ والمصادر والمراجع التي يحيل عليها .

٥٧-ابن العبري : المصدر السابق ، ص١٤ ،١٦ تقديم.

٥٨- أبونا : المرجع السابق ، ص٤٤٨ نقلا عن بتريس في كتابه أبحاث، ص١١٩ ، حنافيي : مصادر كنيسة المشرق قبل الأسلام ، ص١٦٠ ، وقد أنتقد فيي ابن العبري على إطلاقه لقب المفريان على من تولوا رئاسة كنيسة تكريت منذ البداية مع ان هذا اللقب أطلق متاخرا . ينظر : المرجع السابق ص١٦٠ .

٥٩- سعد رستم : الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم ، الاوائل للنشر واالتوزيع دمشق الطبعة الاولى ، ١٤٢٥ ه ــ ٢٠٠٤ م، ص ٢١.

٦٠-الأريوسية : ينسب هذا المذهب الى الكاهن الليبي آريوس الذي درس في مدرسة لوسيان اللاهوتية في مدنية انطاكية، وبعد ان تم ترسيمة قسيسا في كنيسة الاسكندرية عام ٣١٩م اختلف مع اسقف الاسكندرية اثناسيوس حول الهية المسيحية ، واظهر عقيدته التي مؤداها نفي الهية المسيح واعتبارة مخلوقا، وقد ادى اللغط وتصارع الآراء الذي اثاره تعليم اريوس الى عقد اول مجمع مسكوني (عالمي) فى مدينة نيقية (ازنيك التركية) عام ٣٢٥م والذي حضره ٣١٨ اسقفا، ثم ذهب اكثريتهم الى النص على العقيدة التى اشتهرت باسم العقيدة النيقاوية و التي صارت دستور الايمان المسيحي الارثوذكسي، كما تم نفي اريوس الى مقاطعة الليريا في البلقان بسبب عقيدته ينظر : (محمد ابو زهرة: محاضرات فى النصرانية الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص٤٧؛ احمد شلبي: مقارنة الأديان المسيحية ، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، ص١١٣؛ محمد عطا الرحيم: محمد نبي الاسلام ، ترجمة فهمي شما ، دمشق ١٩٩٩ ، ص ١٢٨-١٢٩.

٦١-النسطورية : تنسب هذه الفرقة الى البطريرك نسطوريوس الذي نصبه الامبراطور البيزنطي ثيودوسيوس (٣٩٥- ٤٣٠م) بطريركا على القسطنطينة سنة ٤٢٨ م وقد رأى نسطوريوس ان هناك اقنوما وطبيعة، فأقنوم الالوهية من الأب وتنسب إليه، وطبيعة الانسان قد ولدت من مريم ، فمريم هي ام الإنسان- وليست ام الإله - وقد مهد نسطوريوس ذلك الاساس للقول بطبيعتين او اقنومين : اقنوم الانسان واقنوم الله ولا ان تسمى مريم العذراء ام الله بل هي بشر ولدت المسيح بالشخصية البشرية ، وان المسيح مات على الصليب كانسان، فاعتبرت تعاليم نسطوريوس هرطقة وبدعة ضالة تخالف المبادئ الرئيسية التى تدين بها الكنيسة، وعلى إثرها انعقد مجمع افيسس (مدينة تقع جنوب غرب تركيا حاليا بالقرب من ازمير) سنة ٤٣١ م واتهم نسطوريوس بالضلال والاتحاد وتمم عزله من اسقفيته ومن ثم نفي الى احد الاديرة القديمة في انطاكية ومنها الى مصر حيث توفي سنة ٤٥١م. ينظر: (فرست مرعي : دراسات في تاريخ اليهودية والمسيحية في كردستان ، منشورات ئاراس اربيل ، الطبعة الاولى ٢٠٠٨ ص ٥١-٥٢).

٦٢-اليعقوبية : تطلق هذه التسمية على المسيحيين من الطائفة السريانية المنوفيستية وذلك نسبة الى يعقوب البرادعي الذي سيم اسقفا سرا عام ٥٤٣م وتمكن من مراوغة شرطة الامبراطور البيزنطي يوستنيانوس، وجاب البلاد لتنظيم الكنيسة المنوفيستية التى من تعاليمها القول بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح؟ وهي بالمعنى الحرفي تشمل جميع المذاهب التي لا ترى في الكلمة المتجسدة إلا طبيعة واحدة بعد اتحاد العنصرين البشري والإلهي . وقد تبنى هذه البدعة كل من اوطيخا في القسطنطينية وديوسقورس في الأسكندرية . إلا أن سويروس بطريرك أنطاكية (٥١٢- ٥١٨) قال بمنوفيستية كلمية أصبحت هي الرسمية . وهذه تؤكد على وحدة الأقانيم في المسيح دون إنكار وجود العنصر البشري في تماميته الفردية، وقد أعتبر هذا المذهب مخالفا لرأي الكنيسة وتم عقد مجمع خلقيدونية في

سنة ٤٥١ م ، حيث تم التأكيد على أن (الكلمة الإلهية ، الابن الوحيد لله ، المولود من العذراء مريم هو على الصعيد البشري ذو طبيعتان لا تختلطان ولا تتغيران ولا تتجزآن ولا تفترقان)) . وأن الكنائس المنشقة عن التعاليم الخلقيدونية هي : السريانية (اليعقوبية) والأرمنية والقبطية والحبشية . ينظر:(هندي . عبودي : معجم الحضارات السامية ، جروس برس – طرابلس – لبنان ، الطبعة الأول ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . ص٨٢٣-٨٢٤ ، ٩١٧).

٦٣-الملكانية :- وهم غالبية النصارى الذين خضعوا لمقررات مجمع خلقيدونية الذي حرم المونوفيستية ، ، مؤكدا على ان للمسيح طيعتين إلهية وبشرية ، وقد دعاهم المنوفيستيون بهذا الاسم على سبيل السخرية ، لأنهم إنحازوا في موقفهم هذا الى الملك البيزنطي الذي أعلن قبوله تلك المقررات . ينظر : (سعد رستم : المرجع السابق ، ص٢٩) .

٦٤-المونوتيلية: وهو المذهب القائل بأن للمسيح طبيعتان، لكن له مشيئة واحدة (إرادة) واحدة، والمغزى من هذا المذهب هو وضع حد للخلاف بين المنوفيستيين والخلقيدونيين لتوحيد الامبراطورية والكنيسة معا في وجه الأطماع الخارجية المتمثلة بالفرس الساسانيين. والفئة الوحيدة التي قبلت هذا المذهب هم اتباع الكنيسة المارونية في لبنان، رغم اعتراض اثنان من كبار لاهوتيي العصر آنذاك وهم: صفرونيوس بطريرك بيت المقدس الذي سلم مفاتيح المدينة للخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، والثاني مكسيموس. ينظر (نقولا زيادة: المسيحية والعرب، قدمس للنشر والتوزيع – دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص١٧٩.

٦٥-غسان دمشقية: لاهوت التحرير، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص١١٢ وما بعدها.

٦٦-المرجع نفسه، ص١٢٣-١٢٤.

٦٧-نقولا زيادة: المرجع السابق، ص١٧٩.

٦٨-عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ص٤٩٠.

٦٩-سعد رستم: المرجع السابق، ص٢٢-٢٣.

٧٠-لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، منشورات دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص٩٠-٩١.

٧١-جان موريس فييه: احوال النصارى، ص٣٥٨ نقلا عن شموئيل جميل في كتابه العلاقة بين الكنيسة الكلدانية والمجمع الشرقي.

٧٢-نقولا زيادة: المرجع السابق، ص١٩٣و ما بعدها.

٧٣-سعد رستم: المرجع السابق، ص٣٣ وما بعدها.

٧٤-نقولا زيادة: المرجع السابق، ص.١٩٣

٧٥-عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ص٧٨-٩١.

٧٦-غسان دمشقية: لاهوت التحرير، ص١٢١-١٢٢.

٧٧-محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص١٧١-١٧٢.

٧٨-عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ص١١٤.

٧٩-المرجع نفسه، ص١١٤-١١٥.

٨٠-نقولا زيادة: المرجع السابق، ص١٩٣ .

٨١-تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣،ص١٥٣.

٨٢-وهذه المدن هي: انطاكية، الرها، آمد (دياربكر)، ملطية، مرعش، سروج، سميساط وغيرها.

٨٣-تاريخ الرهاوي المجهول، ص.٧٢

٨٤-الرهاوي المجهول: تاريخه، ص٧٥؛ ومما تجدر الإشارة اليه ان السريان والأرمن ساعدوا الصليبيين في الاستيلاء على بعض المدن و البلدات والقرى الاسلامية، فضلا عن اعلامهم بالخطط

السرية التي كان قادة الجهاد الاسلامي قد وضعوها نصب اعينهم للقضاء على الصليبيين في انطاكية والرها والمناطق المحيطة بهما، وكذلك قتلهم أي السريان والأرمن للمسلمين في اطاكية بعد ان دخلها الصليبيون بخيانة احد الأرمن. ينظر بهذا الصدد (ابن الاثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٩١هـ؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٣٥؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص٢٠٠، ٢٠٤، ٢١١.

٨٥-ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣، ص١٥٣؛ الرهاوي المجهول: تاريخه، ص٧٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٩١هـ.

٨٦-سيغال: الرها المدينة المباركة، ترجمة يوسف ابراهيم جبرا، ص٢٧٨.

٨٧-المرجع نفسه، ص٢٧٨.

٨٨-تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص١٥٣.

٨٩-المصدر نفسه، ج٣، ص١٥٣.

٩٠-سيس: مدينة ملاصقة لثغور الشام، من أعمالها طرطوس وميرسين، استولى عليها السلطان المملوكي بيبرس ينظر: (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص.١٥٤

٩١-مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، الطبعة الأول، ١٩٨٢، ص٢٢٥-٢٣٤.

٩٢-سوريال: المرجع السابق، ص٤١١.

٩٣-نقولا زيادة: المرجع السابق، ص.٢١٥

٩٤-سوريال: المرجع السابق، ص٤٩٢-٤٩٣.

٩٥-المرجع نفسه، ص٤٩٣.

٩٦-ميخائيل السرياني الكبير: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، عربه عن السريانية غريغوريوس صليبا شمعون، اعده وقدمه غريغوريوس يوحنا ابراهيم، دار ماردين – حلب الطبعة الأولى ١٩٩٦، ح٣ ص٣٧٠.

٩٧-الرهاوي الجهول: تاريخه، ص٢٢٧.

٩٨-يبدأ التاريخ من سنة ٣٣١ ق.م أي سنة تولية الاسكندر المقدوني لمقاليد الأمور في اليونان.

99هذه عادة جرى عليها العديد من المؤرخين السريان في نسبة حوادث المسلمين الى العرب تجديدا، رغم ان العديد من قادة الجيوش التي بامرتهم من غير العرب، فنور الدين تركماني الأصل و صلاح الدين كردي وهلم جرا.

١٠٠-المقصود ريموند الثالث امير طرابلس. ينظر (سعيد عبدالفتاح عاشور. الحركة الصليبية، مكتبة الأغلب مصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧١، ح٢ ص٧٩٩.

١٠١-أي يتمنى ان يصبح ملكا لمملكة بيت المقدس: ينظر (عاشور: المرجع السابق، ٩٢ ص٧٩٢-٧٩٤).

١٠٢-ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣ ص٣٧٠.

١٠٣-المصدر نفسه، ج٣ ص٣٧٠.

١٠٤-يستهين ميخائيل لاسرياني بـ صلاح الدين فلا يسميه حتى بلقبه الصحيح.

١٠٥-الصحيح ارناط – ارنولد دي شاتيون. ينظر (عاشور: المرجع السابق، ج٢ ص٧٦٨.)

١٠٦-الفرير: هم رهبان جنود محافظون اصدقاء المسيحيين. واسمهم فرير يعني اخوة و يقال هلم داوية وهيكليون، و اسبتاليون يعني مضيفين وقد صنعوا خيرا عظيما بحمايتهم. ينظر: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٠٩ هامش ١.

١٠٧-ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣ ص٣٧٠.

١٠٨-المصدر نفسه، ج٣ ص٣٧٠.

١٠٩-المصدر نفسه، ج٣ ص٣٧٠-٣٧١. و قارن بما اورده ميخائيل، الباحث البيرابونا بهذا الخصوص، حيث ان ترجمته للنص اكثر دقة من مترجم تاريخ ميخائيل لاسباب قد تكون قاهرة. ينظر : تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من الاسلام حتى نهاية العصر العباسي، دار المشرق – بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ج٢ ص٢٦٠-٢٦١.
١١٠-الرهاوي المجهول: تاريخهن ص٢٢٨.
١١١-المصدر نفسه، ص٢٢٩
١١٢-المصدر نفسه، ص٢٢٨
١١٣-المصدر نفسه، ص٢٢٨.
١١٤-الامير ارناط صاحب قلعة الكرك وهو ارنولد دي شاتيون. ينظر: (عاشور: المرجع السابق، ج٢ ص٧٩٢-٧٩٤).
١١٥-الرهاوي: المصدر السابق، ٢٢٨.
١١٦-المصدر نفسه، ص٢٢٧-٢٢٩.
١١٧-تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسته انطوان الصالحي، دار الرائد اللبناني – بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٣٨٣
١١٨-ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٠٨.
١١٩-المصدر نفسه، ص٢٠٨.
١٢٠-المصدر نفسه، ص٢٠٨
١٢١-المصدر نفسه، ص٢٩.
١٢٢-المصدر نفسه، ص٢٠٩، ويذكرمقدم الكتاب ان سبب قتل ارناط لانه ابى ان يعتنق الاسلام، وهذه المعلومة لا ترد في متن النص وكان اسحق ارملة السرياني قد ذكره في معرض كلامه عن معركة حطين، ولا يدري الباحث على أي مصدر استند الأخير في ايراده هذا النص: ينظر: (الحروب الصليبية في الآثار السريانية، المطبعة السريانية، بيروت، ١٩٢٩، ص١٧٠)، كما انه اخطأ يقوله وقتل صلاح الدين عشرة من الرهبان الفرير اعتمادا على ميخائيل، و الصحيح ٣٠٠ فرير.
١٢٣-ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة، ج٢، ص١٩٤.
١٢٤-المصدر نفسه، ج٢ ص١٨٥، وهذا ما دعا المؤرخ الفرنسي جروسيه الى القول : ((ولكن ذلك الفارس اللص [ارناط] كمان لا يستطيع الحياة دون ان ينهب ويسرق)). ينظر (عاشور: المرجع السابق، ج٢ ص٧٩٧).
١٢٥-ابن العبري: المصدر السابق ص٢٠٩.
١٢٦-ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٨٤، تاريخ الزمان، ص٢١٠.
١٢٧-ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٣٨٤.
١٢٨-ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص٣٨٤-٣٨٥، تاريخ الزمان، ص٢١٠-٢١١ والزيادة الوحيدة ((لن ندعكم تكملون شهوتكم))
١٢٩-ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٣٨٥.
١٣٠-ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢١١، تاريخ مختصر الدول، ص٣٨٥.
١٣١-ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٣٨٥، تاريخ الزمان، ص١١.
١٣٢-ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢١١.
١٣٣-المصدر نفسه، ص٢١١.
١٣٤-المصدر نفسه، ص٢١١.
١٣٥-المصدر نفسه، ص٢١١.

أحيانا	نادرا

١٣٦- ابو شامة: كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، منشورات مكتبة محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، مج٢، ج٤، ص١١٥.
١٣٧- ابن العبري: تاريخ الزمان، ص.٢١١
١٣٨-تاريخ الكنيسة الشرقية، ج٢ ص٢٦٠ هامش (١١).
١٣٩اسحق ارملة السرياني: الحروب الصليبية في الآثار السريانية، ص١٧٨.
١٤٠-تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣ ص٣٧١، ويقصد بناء قبة الصخرة في زمن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان.
١٤١-المصدر نفسه، ج٣ ص٣٧٠.
١٤٢-جان موريس فييه: احوال النصارى في خلافة بني العباس، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، ص٣٥٧-٣٥٨.
١٤٣-المرجع نفسه، ص٣٥٨.
١٤٤-المرجع نفسه، ص٣٥٨.
١٤٥-المرجع نفسه، ص٣٥٨؛ حبيب الزيات: الصليب في الإسلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٣٨، ص١٠.
١٤٦-مج٢، ج٤، ص٣٠-٤٠؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص١٨٩.
١٤٧-آرثر كريتنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، ١٤٨- بيروت، ١٩٥٧، ص٣٠٠؛ يوسف حبي: التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، بغداد، مج٦، ص٣٨.
١٤٩-يوسف حبي: التواريخ السريانية، ص٣٨.
١٥٠-ابن العبري : تاريخ الزمان، ص١٤ ،١٦ تقديم جان موريس فييه.
١٥١-مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، القاهرة، ١٩٤٩، ص٦٤؛ آرثر كريتنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص٢٥-٢٦.
١٥٢-جمال رشيد: لقاء الأسلاف الكرد واللان في بلاد الباب والشيروان، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٤، ص٢٤٦.